(فلسطين)، وترجمت ذلك، عملياً، باعلان «هدنات» مؤقتة بين الكيانات العربية واسرائيل، صنّفت، جميعها، «كخطوة أولى نحو السلام»، من هدنة العام ١٩٤٨ (باشراف الامم المتحدة) الى اتفاقيات فك الارتباط العام ١٩٧٤ (باشراف الولايات المتحدة الاميركية)، ثم جاءت اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل التي وصفها، في ما بعد، أكثر الاسرائيليين تفاؤلاً بـ «حالة انهاء حرب مع دولة عربية واحدة»، وعارضتها جميع الدول العربية بلا استثناء. وبغض النظر عن عدم ترجمة تلك المعارضة الى عمل، لم يتحقق السلام لأسباب عدّة من أبرزها:

اولاً: ان الصراع في ما بين دول الغرب على زعامة العالم لم يُحسم بعد. وفي إطار هذا الصراع، ظلت منطقة الشرق الاوسط، التي منها فلسطين، منطقة حيوية لكل طامع في الهيمنة على العالم، سواء كممر عالمي (تقاطع طرق)، أو كخزان للطاقة (النفط)، أو كسوق استهلاكية للسلع والخدمات الغربية.

ثانياً: ان محاولة تغييب العنصر الفلسطيني من معادلة الصراع فشلت، سواء محاولات تذويبه في محيطه العربي (التوطين)، أو محاولات ابادته التي قام بها الصهيونيون (من مجازر العام ١٩٤٨ الى تكسير العظام العام ١٩٨٨). فقد ظلّ هذا الشعب «حاضراً» إمّا في القيم الشعبية العربية، أو وجوداً عملياً على الخريطة السياسية، «مقاتلاً» من أجل تحقيق ذاته على الخريطة الجغرافية، وشكّل، بحضوره ووجوده، قلقاً وهاجساً لدى الجميع.

لهذين السببين، لم يسع الغرب أو لم يتمكن من دفع طرفي الصراع العربي ـ الاسرائيلي في الوصول الى تسوية توفر مقدّمات للتعايش المشترك؛ فالدولة التي كانت تتزعم معسكر الغرب (حسب المراحل) إما انها لم ترغب بالتسوية لأن استقرار المنطقة لا يخدم مصالحها، وإما أنها عندما أرادت لم تتمكن من تحقيقها.

وحين انعقد مؤتمر مدريد في ٣١/١٠/١٩٩١، كان الاتحاد السوفياتي ما زال قائماً، ولذا كانت المماطلة الاسرائيلية في جولات المفاوضات جزءاً من استراتيجية أميركية غير معلنة؛ فالجدول الزمني الذي وضعه الرئيس الاميركي، جورج بوش، لم يتوافق مع حسابات الادارة الاميركية حول انهيار الاتحاد السوفياتي من عدمه، فقد كان في وضع المترقب، ولذا كانت المماطلة الاسرائيلية خدمة للسياسة الاميركية، سواء جاءت بالتنسيق المشترك، أو لمجرد التقاطع بالصدفة بين «ترقب» الادارة الاميركية، وعدم رغبة اليمين الصهيوني بتقديم أي تنازلات في مشروع التسوية المطروح على المفاوضين العرب والفلسطينيين والاسرائيليين. ونرى، تأكيداً لما تقدم، أن سياسة رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق رابين، تابعت نسق اسحق شامير، بالرغم من ان خطابه الانتخابي كان مغايراً. ووصل رابين الى السلطة في عهد بوش وقبل انقضاء المهلة الزمنية التي حددها للوصول الى بدء تطبيق مرحلة الحكم الذاتي للفلسطينيين، مع ذلك وافق بوش لرابين على ضمانات القروض التي منعها عن شامير، ولم يستعجله في شأن المفاوضات التي كان صرّح رابين بشأنها انه سيتوصل، في خلال ستة شهور، الى اتفاق مع الفلسطينيين حول الحكم الذاتي.

العالم الآن

في تاريخ العالم المدوّن، منذ الحضارات الاولى حتى الآن، شكّلت الحرب هاجساً بشرياً، سواء القيام بها بالمبادرة اليها (حرب هجوم)، أو ردّها بالدفاع ضدها (حرب دفاع)، أو بتجنبها (القبول بهيمنة الأقوى، سلماً أو استسلاماً). ووظفت الطاقات العقلية في سبيل اختراع وابتكار أدوات